هل فى مصر نهضة ادبية؟

من حديث مع الدكتور محمد حسين هيكل بك

هل عندنا نهضة أدبية حقاً . وهل هذه النهضة قوية بالمعنى الصحيح ، وهل هى جديرة بان تنبه الاذهان وتكره الجمهور على الاعتراف بها ؟

أسئلة قد تدور فى خلد كثير من الناس وقد يختلفون فى الاجابة عنها ولكن الواقع ان عندنا نهضة أدبية قوية تكره الجمهور على الاعتراف بها على الرغم مما يصادفها من عقبات وأظهر ما فى هذه النهضة أنها تخطت ما كانوا يسمونه (عصر الترجمة) الى صورة اخرى وهى ما يسمونه (عصر التأليف) وان كان الجيد من المؤلفات قليلا ولولا الشواغل التى تصرف الادباء عن مضاعفة الجهد كالعمل فى السياسة والسعى لطلب العيش لكانت الحال أحسن مما هى الان

النثر والشعر

وأنا ما زلت أعتقد أن النهضة الادبية سائرة الى الامام فى النثر أكثر منها فى الشعر وهذا واضح فيما نتناوله كل يوم من الكتب والصحف والمجلات ، وقد رأينا منذ ابتداء النهضة كتابا مجيدين قاموا بدورهم ثم خلفهم آخرون وظهر عندنا كثير من نوابغ الناثرين كالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ومصطفى كامل وقاسم أمين وعلي يوسف والمنفلوطى وغيرهم ممن أحدثوا مدرسة جديدة فى النثر العربى

وهذا بخلاف الحال فى الشعر فان الشعر العربى فى الوقت الحاضر ما زال لابسا ثوبه القديم ولا زال الشعراء الذين احتلوا الميدان من أربعين سنة هم أبطال هذا الميدان وتستطيع أن تقول انه لم يظهر لهم الى الان منافسون يهابونهم ومما يؤسف له أن أغلب المنتجات الشعرية لا تخرج عن المديح والرثاء ولا تتجاوزهما الى العاطفة السامية التى هى أهم أغراض الشعر الصحيح

وفى اعتقادى ان من أكبر عيوب نهضتنا الادبية عدم الاهتمام باحياء الادب العربى القديم ومن العيب كذلك ميل الادباء الى هدم بعضهم بعضا فان كثيرين منهم يتأثرون بالخلافات الشخصية والمذاهب السياسية فى تقديرهم للاثار الادبية مع أن الادب كفن جميل يجب أن يسمو فوق كل اعتبار ويجب ان ينظر اليه من ناحية الفن دون سواه

ولو تساند الادباء والمشتغلون بالادب وخلقوا لهم رابطة لكانت النهضة أقوى وأوسع دائرة مما هى ولاستطاعوا أن يحدثوا تيارات فى التفكير والكتابة أكثر جداً مما هو حاصل الان

فانني لارى أن اجتماع الادباء ومحادثاتهم بل أحاديثهم كثيراً ما تنتج وتثمر فى اتجاهات الادب الجديدة أكثر مما تثمر المطالعة وأكثر مما يثمر تقليد الادب الغربى

الادب والاديب

والادب عندى - كما قلت - فن جميل وهو يحتاج الى الموهبة الفنية الخصبة والجد والاجتهاد فاذا لم تكن الموهبة فيه غنية خصبة فالجد وحده لا يكفى وكذلك غنى الموهبة لا يكفى وحده دون الجد والاجتهاد المتصل

وفرق عندى بين الاديب والكاتب فكل أديب كاتب ولا عكس وكثيرون منا معشر الصحافيين كتاب لا ادباء وكثيرون منا لا يحبون الادب بالمعنى الذى افهمه من أنه فن جميل وان كانوا متفوقين فى الصحافة تفوقا يجعلهم فى الدرجة الاولى من أهلها

ومن رأيى أن الادب كفن جميل له كسائر الفنون الجميلة جميع نواحيه ومذاهبه ففيه الادب الفلسفى والروائى والقصصى وغيره ،

ويغلب أن يجيد الاديب ناحية من هذه النواحى اكثر من سواها وخير ما يفعله الاديب أن يتوفر على تنمية ملكاته فى الناحية التى وهب فيها

الادب القصصى

وذكرت فيما ذكرت من النواحى الادبية الادب القصصى وهو من أرقى أنواع الادب وعندى ان القصة المصرية موجودة ولما كتبت (زينب) . وأنا فى صدر الشباب . كان فى خيالى ان أقف حياتى على هذا النوع من الادب لانه غزير المادة عندنا فلا يكاد يمضى أسبوع حتى أسمع فيه من الحوادث التى تقع فى مصر و بين جدران منازلها ما يصلح للقصة وما يصلح الاقصوصة وما يصلح للمسرح

وانما يقعد بالادباء عن تصوير هذه الحوادث فى القصص والاقاصيص والروايات المسرحية أن هذه الاثار الادبية تحتاج لدقة اظهارها الى وقت طويل وفراغ ور ياضة نفسية وذهنية لا تيسرها أسباب العيش وكسب الرزق فى مصر وهذا هو السبب فى عدم وجود القصة او الاقصوصة بالصورة الفنية الجديرة بالتقدير فى الادب المصرى

على أنى لست متشائما من ناحية الفن القصصى ولا من ناحية النهضة الادبية بوجه عام لان قراء العربية يزداد عددهم عاماً بعد عام ولان حالة الاضطراب النفسى التى تسود الامم العربية ستنتهى حتما الى الاستقرار بعد زمن ما وسنجد كثيراً من الناس أشد اقبالا على القراءة وسيجد كاتب القصص بعض ما يكافىء مجهوده ان لم يجد كل ما يكافىء مجهوده ورجل الفن الموهوب يكفيه القليل دائما لانه وغيره من الادباء يشعر بسعادة لا تعدلها سعادة فى انتاج الاثار الفنية التى يحبها على صورة تطمئن لها نفسه و يستريح لها ضميره

التأليف والترجمة

وتسألنى عن التأليف والترجمة وأيهما أنفع لنهضتنا الادبية الحاضرة فأقول لك انه لا غنى عن الترجمة كما لا غنى عن التأليف ويجب أن يسيرا جنبا لجنب دائما لانه مهما عظمت الثروة الادبية فى امة من الامم فانها فى حاجة الى الاقتباس والاطلاع على الثروات الادبية فى الامم الاخرى واذا كان ذلك ما حدث فى الايام القديمة فان الامم أحوج اليه الان بعد ان صارت أكثر اتصالا بعضها ببعض

فالترجمة لازمة للنهضة الحاضرة كالتأليف والادب الصالح هو الذى يقوم فيه كل مشتغل به فى الناحية التى يتقنها

الشعر المنثور

على أننى اذا قلت ان الترجمة لازمة فانما احب أن تتناول الاثار الادبية لنوابغ ادباء الغرب مما يضيف الى الادب العربى ثروة يتذوقها وتمشى مع روحه وهنا أذكر ما ابتدعه بعض الادباء أخيراً مما يسمونه (الشعر المنثور) فهو فى رأيى بعيد عن ذوق الادب العربى ولا يتمشى مع روحه وهو فى اعتقادى توثب فى النفس الى الشعر وقصور دون ادراك غايته ولو أن الذين يتوثبون نظموا خواطرهم شعراً لكان ذلك أحسن ولضمنوا لاثارهم البقاء أما هذا النوع من النثر اذا ترك أثراً فنيا جميلا فانه على ما اعتقد ليس مما قدر له البقاء

وقد طالعت من (الشعر المنثور) شيئا غير قليل يدلنى على صحة ما قدمت ومع أن امام هذا المذهب المرحوم جبران خليل جبران فان روايته (الاجنحة المتكسرة) التى لم يلجأ فيها الى نوع الشعر المنثور ستكون أبقى آثاره فى الادب العربى ذلك لان روح الادب العربى فى مدى السنين الطويلة لم تتذوق هذا النوع ولم تثبته مع اتصال العرب باروبا واطلاع كتابهم على أدب الغرب فى الاندلس ـ ذلك الاطلاع الذى كان جديراً بان يلهمهم مختلف المذاهب الغربية التى تلتئم وروح الادب العربى

عن مجلة الهلال

ثلاثة مسخرون لثلاثة آخر الابد : القوى للضعيف . والفقير للغنى . والبليد للذكى

احمد شوقى بك